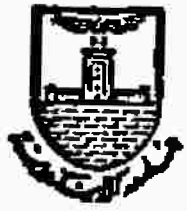

جامعة الإسكندرية

مجلة

كلية الآداب

العدد الخمسون

١٩٩٩ / ٢٠٠٠م

المجلد الثانى

تصدر «مجلة كلية الآداب» وإصداراتها محكمة عن كلية الآداب بجامعة الإسكندرية وتقدم مخطوطات البحوث مكتوبة على الكمبيوتر من ثلاث نسخ، ويجب ألا يزيد عدد صفحات البحث على ثمان وأربعين صفحة من القطع المتوسط مكتوبة على الكمبيوتر.

تقدم البحوث وتكون جميع المراسلات باسم :

الأستاذ الدكتور / عثمان سليمان موافى

وكيل كلية الآداب للدراسات العليا والبحوث ورئيس تحرير مجلة كلية الآداب

كلية الآداب – جامعة الإسكندرية

الشاطبى – الإسكندرية

جمهورية مصر العربية

مؤتمر الإسكندرية الدولى الثالث

للتبادل الثقافى بين شعوب البحر المتوسط

(الخصائص الثقافية وآفاق التعاون)

في الفترة من ١٢ – ١٥ أغسطس ١٩٩٨م

رئيس المؤتمر

الأستاذ الدكتور / **محمد عبده محجوب**

عميد كلية الآداب – جامعة الإسكندرية

أمين عام المؤتمر

الأستاذ الدكتور / **عثمان سليمان موافى**

وكيل كلية الآداب للدراسات العليا والبحوث – جامعة الإسكندرية

يتضمن هذا المجلد

بحوث مؤتمر الإسكندرية الدولى الثالث

للتبادل الثقافى بين شعوب البحر المتوسط

المنعقد بقاعة المؤتمرات فى الفترة ١٢ – ١٥ أغسطس ١٩٩٨م

مجلة كلية الآداب

مجلس التحرير

رئيس مجلس الإدارة

الأستاذ الدكتور **محمد عبده محجوب**

رئيس التحرير

الأستاذ الدكتور عثمان سليمان موافى

أعضاء مجلس التحرير

أ.د. فوزى سعد عيسى

أ.د. أولجا محمد مطر

أ.د. ضحى شيحة

أ.د. نبيلة حسن

أ.د. فايز العيسوى

أ.د. على عبد المعطى

أ.د. السيد عبد العاطى

أ.د. محمد عباس

أ.د. عزت قادوس

د. خالد رفعت

أ.د. مايسة النبيال

د. جمال الخولى

المحتويات

الموضوع	الصفحة
- من مظاهر البعد المتوسطى فى الثقافة الأندلسية أ.د. أحمد مختار العبادى	١١
- من ثمار التواصل الثقافى بين مصر وفرنسا أ.د. عبد الرحمن العيسوى	٢٩
- الدراسات العربية فى مدريد د. خالد إبراهيم سالم	٥٣
- التبادل الثقافى بين الإسكندرية والغرب الإسلامى أ.د. السيد عبد العزيز سالم	٦٥
- العلاقات القديمة بين حضارات شرق المتوسط خلال دراسة الأساطير اليونانية أ.د. محمد السيد عبد الغنى	٨٥
- أثر ثقافات دول البحر المتوسط فى شرح أسفار العهد القديم د. فايزة عبد الفتاح عز الدين	٩٩
- أثر حضارات جزر البحر المتوسط فى الحضارة الليبية القديمة د. إبراهيم حسين محمد	١٤٥
- رحالة من المغرب إلى المشرق-راشيل آربيه- ترجمة عن الأسبانية وتعليق د. سحر عبد العزيز سالم	١٦٥
- رحلات عباس بن ناصح الجزيرى وأثرها فى تشكيل ثقافة الأندلس د. إبراهيم سلامة أبو العلا	١٩٣

الموضوع	الصفحة
- المراكز الثقافية فى مصر والشام فى القرون المسيحية الأولى أ.د. محمود عمران	٢٣٧
- الاتجاه نحو الكلاسيكية فى فنون الكتابة فى حوض البحر المتوسط، بحث فى الفنون التشكيلية والتعبيرية د. بدر الدين عوض بدر الدين	٢٦٧
- التواصل الحضارى لفن النحت الهلينستى بين شعوب البحر المتوسط القديمة د. صلاح الدين القمرى	٢٩٣
- رسم المخطوطات الأندلسية وتأثرها بالحضارة العربية د. أحمد رجب	٣٠٩
- لعب الأطفال كوسيلة من وسائل تثقيف الطفل فى حضارات شعوب البحر المتوسط القديمة أ.د. عزت زكى حامد قادوس	٣٢٥

من مظاهر البعد المتوسطي في الثقافة الأندلسية

بحث مقدم من

الأستاذ الدكتور

أحمد مختار العبادي

من مظاهر البعد المتوسطي الثقافي في الأندلس
(البعد اليوناني اللاتيني)

١

موضوع البعد المتوسطي في الثقافة الأندلسية، موضوع واسع متشعب نظرًا لارتباط الأندلس -أو أسبانيا الإسلامية- بشعوب البحر المتوسط شرقًا وغربًا وشمالاً وجنوبًا على اعتبار أن الأندلس كانت تمثل نهاية العالم المعروف غربًا ويليها بحر الظلمات أو المحيط الأطلسي.

ومن المعروف أن الفتح العربي للأندلس تمّ على يد موسى بن نصير وطارق بن زياد في خلافة الوليد بن عبد الملك سنة ٩٢هـ/ ٧١١م.

وواضح أن هذا الفتح لم يكن حدثًا عسكريًا بقدر ما كان حدثًا حضاريًا امتزجت فيه حضاراتٌ متوسطيةٌ سابقة، كالفينيقية واليونانية والرومانية والقوطية، مع حضارة جديدة لاحقة، وهي الحضارة العربية الإسلامية، ونتج عن هذا المزيج حضارة أندلسية مزدهرة وصلت إلى الفكر الأوربي المجاور وأثرت فيه.

كذلك من المعروف أن الحضارة الأندلسية لم تنشأ فجأة بل مرت في أدوار مختلفة، وخضعت لمؤثرات شرقية شامية وحجازية ومصرية وعراقية تربطها عبر البحر المتوسط بالوطن الأم باعتبارها جزءًا منه[١]، كما خضعت لمؤثرات مغربية إفريقية بحكم ارتباطها ببلاد المغرب والسودان المصالبة لها من الجنوب[٢]. وكذلك خضعت لمؤثرات محلية أوربية بحكم البيئة التي نشأت فيها كدولة من دول البحر الأبيض المتوسط في قلب أوربا.

---

[١] راجع :

Mahmoud Makki : Ensayo sobre Aportaciones Orientales en la España Musulmana, Madrid, 1967.

[٢] انظر على سبيل المثال : عبد العزيز بن عبد الله : معطيات الحضارة المغربية، دار الكتاب العربية بالرباط.

وهذا التداخل والتواصل بين الحضارتين الإسلامية والأوربية، وهذا الاختلاط البشرى أو الزواج المشترك بين الفاتحين وأهل البلاد أدى إلى ظهور طبقة اجتماعية جديدة هى طبقة المولدين، كما أدى إلى انتشار ظاهرة ازدواجية اللغة العربية والإسبانية بين أبنائها، وكلُّ هذا أعطى الأندلس طابعًا فريدًا وثقافةً مميزة، تتسم بثلاث صفات مجتمعةٍ فى وقت واحد وهى : العروبة والإسلام والاسبانية.

ونظرًا لاتساع هذا الموضوع، فإننا نقتصر هنا على بعض هذه الأبعاد المتوسطية التى تأثرت بها الأندلس، وهو البعد اليونانى واللاتينى.

أولاً : البعد اليونانى أو الإغريقى :

كانت العلاقات الدبلوماسية الوطيدة التى قامت لأول مرة بين قرطبة والقسطنطينية، بدايةً لسلسلة من الاتصالات والسفارات التى تبودلت بين أمراء وخلفاء الأندلس وبين أباطرة الدولة البيزنطية التى كانت لغتها الرسمية هى اللغة اليونانية[1].

على أن موضع الأهمية هنا هو أن هذا الاتصال السياسى قد صحبه أيضًا اتصال حضارى، فالسفارة التى أرسلها الإمبراطور البيزنطى قسطنطين السابع إلى الخليفة الأموى عبد الرحمن الناصر سنة ٣٣٧هـ/ ٩٤٨م حملت معها من جملة الهدايا نسخة خطية من الكتاب اليونانى المشهور باسم الأدوية المفردة Materia Medica أو كتاب الحشائش الذى ألفه Dioscorides ديوسقوريجس وهو طبيب أو عشّاب يونانى عاش فى القرن الأول الميلادى فى بلدة عين زربة Anzarbio قرب طرسوس فى جنوب آسيا الصغرى. ونظرًا لأهمية هذا الكتاب فى مجال الطب والصيدلة، فقد أمر خليفة قرطبة عبد الرحمن الناصر بترجمته

---

(1) الإمبراطورية البيزنطية (أو الرومانية الشرقية) بدأت فيها اللغة اللاتينية كلغة رسمية منذ تأسيس القسطنطينية فى القرن الرابع الميلادى حتى القرن السادس الميلادى، وفى خلال هذه المدة أخذت اللغة اليونانية تزداد انتشارًا على حساب اللاتينية بحيث لم يأت القرن السابع الميلادى (الأول الهجرى) حتى أعلنت اللغة اليونانية أنها اللغة الرسمية فى البلاد.

إلى العربية[1] . وشكلت لجنة علمية لهذا الغرض كان من بين أعضائها الطبيب عبد الرحمن بن الهيثم، وأبو عبد الله الصقلى الذى كان يجيد اللغة اليونانية وله إلمام بتركيب العقاقير، والراهب نيقولا اليونانى الذى أرسله الإمبراطور البيزنطى قسطنطين السابع للمساهمة فى هذا العمل العلمى الكبير[2] .

وقد أثار ظهور هذه الترجمة الكاملة لكتاب ديوسقوريدس موجة من الحماس بين الأندلسيين الذين أقبلوا على دراسته وشرحه، ثم الإضافة إليه من تجاربهم الخاصة طوال القرون التالية.

ومن بين العلماء الذين برزوا فى هذا الميدان بالأندلس، عبد الرحمن بن الهيثم، طبيب المنصور بن أبى عامر الذى كتب عدة شروح على كتاب ديوسقوريدس. وبالمثل يقال عن الطبيب عبد الرحمن بن وافد اللخمى (ت ٤٦٦هـ) الذى كان وزيرًا وطبيبًا ليحيى المأمون بن ذى النون صاحب طليطلة (٤٢٨ - ٤٦٧هـ) لقد اطلع هذا الطبيب على كتب ديوسقوريدس وجالينوس[3] وكتب مؤلفًا ضخمًا عن الأدوية المفردة ضمنه خلاصة تجاربه التى تقوم على مبدأ التداوى بالتغذية أولاً ثم بالأدوية المفردة وأخيرًا بالأدوية المركبة[4].

---

[1] سبق أن ترجم كتاب ديوسقوريدس إلى العربية ترجمة جزئية قبل ذلك الوقت بنحو قرن من الزمان فى بغداد على عهد الخليفة المتوكل العباسى (٢٣٢ - ٢٤٧هـ) غير أن المترجم له واسمه اصطفان باسيل لم يترجم سوى جزء من أسماء الأدوية المفردة لعدم معرفته بما يقابل اليونانية فيها، ولهذا ظلت أسماء باقى العقاقير الطبية على صورتها اليونانية بحروف عربية.

[2] راجع: ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص٣١٣ - ٣١٥، المقرى: نفح الطيب، ج١، ص٣٢٤، والنسخة الخطية من هذه الترجمة العربية محفوظة فى مكتبة البودليانه بأكسفورد. راجع أوليرى: مسالك الثقافة الإغريقية إلى العرب، ص٢٥٧، ترجمة د. تمام حسان، القاهرة ١٩٥٧.

[3] جالينوس Galien (١٣١ - ٢٠١م) طبيب يونانى له اكتشافات فى عالم التشريح اهتم به أطباء العرب.

[4] تراث الإسلام، القسم الثالث، ص١٣٢، حاشية عالم المعرفة، الكويت، ١٩٧٨.

كذلك نذكر أعظم العشابين في عصره، ضياء الدين بن البيطار المالقي الإشبيلي، صاحب كتاب "الجامع لمفردات الأغذية والأدوية"[1].

سافر ابن البيطار إلى اليونان وأقصى بلاد الروم والشرق، كما سافر إلى مصر والشام، واتخذه الملك الكامل الأيوبي طبيبًا خاصًا وجعله رئيسًا على الحكماء وسائر العشابين، ثم جعله مقدمًا في دمشق حيث تتلمذ على يديه الطبيب ابن أبي أصيبعة الدمشقي (ت ٦٦٨هـ) الذي وصف أستاذه في كتابه "عيون الأنباء في طبقات الأطباء" بقوله: «كنت أجد من غزارة علمه ودراسته شيئًا كثيرًا، وكان لا ينكر دواء في جوابه لمن يسأله إلا ويعين في أي مكان من ديوسقوريدس وجالينوس»[2]. ولقد توفي ابن البيطار في دمشق سنة ٦٤٦هـ/ ١٢٤٨م من عشبة سامة أكلها أثناء تجاربه فمات منها شهيدًا للعلم[3].

وفي عهد الخليفة الحكم المستنصر بن عبد الرحمن الناصر، تمخضت السفارات التي تبودلت بين البلدين عن آثار فنية معمارية لها قيمتها؛ إذ يؤثر عنه أنه طلب من العامل البيزنطي نيقفور فوكاس أن يرسل إليه خبيرًا في صنع الفسيفساء كي يعمل على تزيين الزيادة المعمارية في المسجد الأموي بقرطبة، فاستجاب لطلبه وأرسل له ما أراد. هذا إلى جانب السواري أو الأعمدة الرخامية التي سبق أن ساهمت بها القسطنطينية في بناء مدينة الزهراء على عهد والده عبد الرحمن الناصر وعددها مائة وأربعون سارية[4].

---

(1) طبع كتاب ابن البيطار في بولاق في أربع مجلدات ١٨٧٤م، وترجمه إلى الفرنسية المستشرق لكلرك

Leclerc : Traité des Simples.

(2) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ج٢، ص١٢٣، القاهرة، ١٨٨٢م، ولقد نشره حديثًا فؤاد رضا بمكتبة الحياة ببيروت. راجع كذلك : جولثالث بالنثيا: تاريخ الفكر الأندلسي، ص٤٧٩، ترجمة حسين مؤنس.

(3) المقري : نفح الطيب، ج٤، ص٣٤٨، طبعة محيي الدين عبد الحميد.

(4) ابن عذاري : البيان المغرب، ج٢، ص٢٣١، الحميري: الروض المعطار، ص٨٠ – ٨٢.

والواقع إن علوم اليونان وأسماء أبطالها كانت معروفة ومألوفة بين الأندلسيين[1]. فالشاعر الزجال سعد بن عبد ربه (ت٣٤١هـ/ ٩٥٢م) وهو ابن عم صاحب العقد الفريد أحمد بن عبد ربه (ت٣٢٨هـ/ ٩٤٠م) كان معنيًا بكتابات الإغريق وعلوم الأوائل والفلسفة[2]. كذلك يروى المقرى فى كتابه "نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب" أن المغنى العراقى الفارسى الأصل أبا الحسن على بن نافع الملقب بزرياب، هاجر من بغداد إلى الأندلس هو وفرقته وأولاده فى أول عهد أمير قرطبة الأموى عبد الرحمن الثانى أو الأوسط سنة ٢٠٧هـ/ ٨٢٣م، ويقال إنه إلى جانب تأثره بالموسيقى والألحان الفارسية التى تعلمها على أستاذه إسحاق الموصلى فى بغداد، فإنه -أى زرياب- استطاع كذلك أن يحُلّ الرموز الموسيقية أو جدول الأوتار الموسيقية[3] التى وضعها العالم اليونانى المصرى بطليموس القلوذى Claudius Ptolomy (ت ١٧٠م) وأن يحفظ منها - على حد قوله- عشرة آلاف مقطوعة من الأغانى بألحانها[4]. وكتاب بطليموس هذا عبارة عن موسوعة يونانية فى الرياضيات والفلك والجغرافية والموسيقى، ويسمى الكتاب الأعظم فى الحساب Megale Matematike وقد حوّر العرب لفظة مجال إلى مجسطى فقالوا كتاب المجسطى لبطليموس. وقد استفاد منه علماء المسلمين وشرحوه وأضافوا إليه[5].

ويقال إن هذا الكتاب ترجم إلى العربية على يد الحجاج بن يوسف بن مطر الحاسب، فى عهد هارون الرشيد.

---

(1) ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، ص١٠٢، نشر جاينجوس Gayangos وترجمة اسبانية لريبيرا Ribera، وكذلك جونثالث بالنثيا: تاريخ الفكر الأندلسى، ص٢٠٢ - ٢٠٦.

(2) بالنثيا: نفس المرجع، ص١٥٦.

(3) Table of Chords راجع أوليرى : مسالك الثقافة الإغريقية إلى العرب، ص١٥٧، ترجمة تمام حسان.

(4) المقرى : نفح الطيب، ج٤، ص١٢٣.

(5) عمر فروخ: تاريخ العلوم عند العرب، ص١٢٥، وما بعدها بيروت، ١٩٧٠.

وفى مجال الفلسفة نشير إلى الفيلسوف الكبير أبى الوليد محمد بن رشد القرطبى (ت ٥٩٥هـ / ١١٩٨م) الذى عاش فى دولة الموحدين فى المغرب والأندلس وتمتع بتأييد وتشجيع الخليفة العالم أبى يعقوب يوسف بن عبد المؤمن الذى كان مهتمًا بفلسفة أرسطو، وأشار على ابن رشد بشرح كتبه. ولهذا اشتهر ابن رشد بشروحه لكتب أرسطو التى صارت تدرس فى جامعات أوربا. وقد بلغ من حب الأوربيين لشروحه أنهم تخيلوا أرسطو بعمامة كما يقولون، وذلك لأن كتابات ابن رشد امتازت بالأمانة فى الترجمة[1]، والقوة فى الشرح ولهذا أطلقوا عليه اسم المعلم الأكبر وسموه Averroes وقد وضعه الشاعر الإيطالى دانتى فى ملحمته الكوميديا الإلهية مع لفلاء الناس أمثال ابن سينا وصلاح الدين والشاعر الرومانى فرجيل فى منطقة الأعراف Limbo تقديرًا لأعمالهم. وقد ترجم العالم الإنجليزى مايكل سكوت أعمال ابن رشد إلى اللاتينية سنة ١٢٣٠م[2] فى مدرسة طليطلة بأسبانيا فكان أول من أدخل فلسفة ابن رشد إلى أوربا.

وفى عصر مملكة بنى نصر أو بنى الأحمر فى غرناطة، يشير الوزير الغرناطى لسان الدين بن الخطيب إلى أن حكم اليونان كانت تدرس فى الأندلس، لاسيما لأبناء الطبقة الراقية من الملوك والأمراء، وضرب مثالاً على ذلك بالأمير إسماعيل بن الأحمر الذى كان يدرس هذه المادة على مملوك مسيحى الأصل

---

(1) من المعروف أن أرسطو أنكر الخلود والبعث، وصرح بأنه على المرء ألا ينتظر ثوابًا أو عقابًا غير ما يلقاه فى الحياة الدنيا. ولاشك أن ابن رشد لم يتحرج من ذكر ذلك ولم يحرص فى ترجمته لأرسطو مثل حرص غيره من فلاسفة العصور الوسطى -مسلمين وغير مسلمين- على تقريب وجهات النظر بين آراء أرسطو من ناحية وتعاليم الأديان السماوية من ناحية أخرى، وإنما اختار أن يعبر أن آراء أرسطو تعبيرًا أمينًا صادقًا كما فهمها من أرسطو، ولاشك أنه لعل ذلك بتشجيع وتأييد الخليفة الموحدى أبى يعقوب يوسف الذى كان مهتمًا بفلسفة أرسطو ولاحظ تلك وغموض العبارات التى نقلت عنه.

(2) أى بعد وفاة ابن رشد بحوالى ٣٢ سنة.

اسمه عباد. ويضيف المؤرخون أمثال Alvaro Galmez Fuerte أن حكم اليونان استمرت تدرس فى الأندلس حتى أيام المورسكيين.

كذلك نلاحظ أن بعض الأندلسيين تسمى ببعض الأسماء اليونانية مثل اسم أخيل Akiles بطل حرب طروادة فى آسيا الصغرى (١١٩٢ - ١١٨٤ق.م) التى تغنى بها هوميروس فى الملاحم الإغريقية، مثال ذلك عباس بن أخيل صاحب شرطة موسى بن نصير[١]، ومثل الشاعر أبى القاسم أخيل بن إدريس الذى عاش بمدينة رنده جنوب الأندلس على عهد الموحدين[٢]. بل إنهم أطلقوا هذا الاسم على بعض قطع أسطولهم البحرى، وقد أشار بذلك المؤرخ الأسبانى المعاصر لويث دى أيالا عند قوله إن ملك قشتاله ألفونسو الحادى عشر استولى على سفينة حربية غرناطية كبيرة من الطراز اليونانى تسمى Oxel[٣] واعتقد أن هذه التسمية تحريف لكلمة أخيل على أساس أن حرف X فى الأسبانية القديمة كان بمثابة الخاء j (jota) فى الأسبانية الحديثة، فضلاً عن أنه يمثل أيضًا حرف الخاء فى اللغة اليونانية[٤].

ثانيًا : بعد هذا العرض الموجز للبعد اليونانى، ننتقل إلى البعد الثانى وهو البعد اللاتينى فى الثقافة الأندلسية، وهو بلاشك أشد وأقوى من البعد الأول؛ لأن الرومان حكموا أسبانيا ما يزيد على ستة قرون (٢١٨ ق.م - ٤٠٩م) وهى مدة كافية لإعطاء شبه جزيرة أيبريا الطابع الرومانى بلغته اللاتينية التى اختلطت

---

(١) ابن قتيبة: الإمامة والسياسة، ج١، ص٨.

(٢) المقرى: نفح الطيب، ج٥، ص٣٣٣ - ٣٣٤.

(٣) انظر

Lopez de Ayala: Crónicas de los Reyes de Castilla, Tomo I, p. 280.

(٤) نذكر بهذه المناسبة أن الكاتب الإسبانى ميجل ثربانتس Cervantes (١٥٤٧ - ١٦١٦) كتب قصته العالمية دون كيخوته Don Quijote مستخدمًا حرفًا X مكان حرف J مما جعل الإنجليز يسمونها Don Quixot كويكزوت كما أطلق عليها الفرنسيون دون كيشوت.

باللهجات المحلية وتكونت منها اللغة الرومانسية Romance وهى لهجة عامية مشتقة من اللاتينية، ومنها تكونت اللغة الإسبانية ويسميها الأندلسيون الأعجمية أو العجمية أو اللاطينية. وكان من الطبيعى نتيجة هذا الاختلاط الكبير بين الفاتحين من العرب والبربر وبين أهالى البلاد الأصليين عن طريق الحروب المتصلة والزواج المشترك، أن يتأثر أبناؤهم المولدون بأمهاتهم الإسبانيات فى لغتهم وأسمائهم وعاداتهم وطرائق معيشتهم، ونجد ذلك واضحًا فى كلام ابن حزم فى كتابه جمهرة أنساب العرب حينما يتحدث عن انتشار اللغة الإسبانية بين الأندلسيين، ويعجب أن لومًا من قبيلة بلىّ من قضاعة لا يحسنون الكلام باللطينية لكن بالعربية فقط نساؤهم ورجالهم[1]. فاستثناؤه لقبيلة بلىّ يدل على أن الكلام بالإسبانية كان شائعًا بالأندلس، وحتى هذه القبيلة يقول عنها إن أفرادها لا يحسنون ولم يقل لا يعرفون؛ أى أنهم يعرفون اللغة ولكنهم لا يجيدونها إجادة تامة. كذلك إذا تصفحنا كتاب القضاة بقرطبة لمحمد بن حارث الخشنى نجد إشارات واضحة أن هناك قضاةً بالأندلس كانوا يتكلمون الأعجمية ويناقشون بها المتهمين أثناء المحكمة[2].

هذا، إلى جانب كثرة اتخاذ الأندلسيين أسماءً إسبانية كما ورد فى تراجم الفقهاء والكتاب والأمراء مثل ابن قزمان Cuzman، ابن بشكوال Pascual، ابن مردنيش Martinez، ابن القوطية La Goda، وابن لب El Lobo أى الذئب، شنجول Sanchuel البرميخو أى الأشقر Bermejo، ابن الربرتير Reverter أحد قواد الموحدين...إلخ.

كذلك كان من مظاهر التأثير الإسبانى على الأسماء العربية فى الأندلس إضافة المقطع الإسبانى الأخير الذى يتكون من الواو والنون on بالإسبانية للدلالة على التعظيم أو التكبير Soltero عازب، Solteron عانس. فهناك

---

(1) ابن حزم : جمهرة أنساب العرب، ص٤١٢، نشر عبد السلام هارون، القاهرة ١٩٧١.

(2) الخشنى : كتاب القضاة بقرطبة، نشر خولان ريبيرا، ص٩٦، ٢٣٨، ٦٨٧ - ٦٨٨.

حفص حفصون، خالد خلدون، زيد زيدون، غالب غلبون، نزهة نزهون القلاعية الغرناطية، حمده حمدونه...إلخ. وإن كنا لا نستبعد أن يكون متطع الواو والنون هذا، قد صُدِّر من هنا من لبنان إلى إسبانيا عن طريق الفينيقيين أو غيرهم. فكثير من أسماء العائلات اللبنانية الأصيلة القديمة انتهت أسماؤها بالواو والنون مثل شمعون وشقرون وحمدون وبيضون...إلخ، وإن كنا لا ندري إن كانت تدل على معنى التكبير أو التفخيم كما هو الحال في الأندلس.

وإذا تناولنا الرواية التاريخية في الأندلس، وجدنا أن التاريخ الأندلسي في مظهره وأسلوبه، تاريخٌ عربي إسلامي، له شخصيته التي فرضت نفسها على المدونات والملاحم والحوليات المسيحية وأثرت فيها بشكل واضح ملموس، إلا أنه في نفس الوقت قد تأثر واستفاد من الثقافة المسيحية اللاتينية في هذا الحقل التاريخي، وذلك لأن الأمة الإسبانية التي اندمجت في جسم الدولة الإسلامية بالأندلس لم تدخل بأشخاصها فقط بل دخلت بتاريخها وحضارتها أيضًا، إذ لا يمكن فصل ماضيها عن حاضرها. ومن ثمّ عكف المؤرخون الأندلسيون على تقصي الحقائق وتلمس الأخبار من مختلف مظانها اللاتينية القديمة لمعرفة تاريخ بلدهم الأندلس منذ العصور السابقة للحكم الإسلامي في إسبانيا أيام الرومان والوندال والقوط، إلى جانب معرفة أخبار الأمم الإسبانية والأوربية المعاصرة والمصاقبة لهم. وكان هذا أمرًا طبيعيًا بحكم الجوار والمعايشة والحياة المشتركة.

ومن أهم المصادر الأوربية الأساسية التي اعتمدوا عليها في هذا الصدد: كتاب التواريخ السبعة في الرد على الوثنيين[1] للراهب الروماني الإسباني Paulus Orosius هروشيوس الذي عاش في أواخر القرن الرابع

---

(1) Paulus Orosius : Historiarum Libri Septemadursos Paganos

وقد أضيفت له بواسطة مؤرخين لاتينيين تكملة لتاريخ القوط إلى دخول طارق بن زياد عليهم إسبانيا.

وأوائل القرن الخامس الميلادى. والكتاب تاريخ للعالم القديم منذ بدء الخليقة حتى أيامه سنة ٤١٦م، ويتضمن معلومات عن تاريخ الرومان والأمم التى حكمت قبل الإسلام. ونظرًا لأهمية كتاب هروشيوس نقد أمر الخليفة الأندلسى عبد الرحمن الناصر بترجمته إلى العربية. وقام بهذه المهمة الفقيه الأندلسى قاسم بن أصبغ البيانى نسبة إلى بيانة Baena من أعمال قرطبة، واشترك معه فى الترجمة القاضى النصارى ومترجمهم الوليد بن الخيزران المعروف بابن مغيث. وقد استفاد المؤرخون والجغرافيون الأندلسيون من هذا الكتاب أمثال أحمد الرازى والعذرى، والبكرى والإدريسى وابن خلدون وغيرهم، وقد نص بعضهم صراحة على ذلك[1].

وقد قام الدكتور عبد الرحمن بدوى بنشر هذا الكتاب فى بيروت منذ عدة سنوات. أما عن أخبار الممالك المسيحية الإسبانية التى عاصرت الحكم الإسلامى فى الأندلس، فهى كثيرة ومتعددة فى كتابات المؤرخين الأندلسيين، ونذكر على رأسهم المؤرخ القرطبى أبا مروان بن حيان (ت ٤٦٩هـ/ ١٠٧٦م) الذى يعتبر من أعظم مؤرخى إسبانيا الإسلامية والمسيحية فى العصر الوسيط. فلقد ثبت من الأخبار التى رواها فى كتابيه المقتبس والمتين أنه على دراية واسعة بكل ما يتعلق بتاريخ إسبانيا المسيحية على أيامه، بل وأيضًا بعض جوانب التاريخ الفرنسى فيما وراء جبال البرتات فى الشمال. ولقد أثار ما كتبه ابن حيان عن الممالك المسيحية فى إسبانيا دهشة المؤرخين الذين رأوا فى تفسير هذه الظاهرة أنه لابد وأن ابن حيان كان يعرف اللاتينية التى مكنته من الاطلاع على المدونات المسيحية، أو أنه كان على اتصال برواة العجم العارفين بأخبار هذه الممالك المسيحية[2].

---

[1] العذرى أشار إلى طليطلة Italica والبكرى أشار إلى جزر الخالدات أو السعادات أو كناريا Islas Fortunatas قرطاطس.

راجع حسين مؤنس تاريخ الجغرافية والجغرافيين فى الأندلس، ص١٩-٢٠، مدريد، ١٩٦٧.

[2] راجع مقدمة ابن حيان: المقتبس من أنباء أهل الأندلس، القسم الخاص بالأمير عبد الرحمن بن الحكم، تحقيق محمود مكى، بيروت ١٩٧٢م.

وما يقال عن ابن حيان يقال أيضًا عن معاصره وصديقه الفقيه أبي محمد على بن حزم القرطبى (ت ٤٥٦هـ/ ١٠٦٢م). فكتاب ابن حزم المعروف باسم "الفصل فى الملل والأهواء والنحل" يعتبر تاريخًا مقارنًا للأديان، ويدل على اطلاعه وتحققه بكتابات اليهود والنصارى مستشهدًا بنصوص من الإنجيل والتوراة التى كانت تترجم عن اللاتينية والعبرية، وكل هذا يدل على سعة اطلاعه وتوفر النصوص اللاتينية بين يديه[1]. ولا نستبعد على ابن حزم -الذى ينحدر من أصل إسبانى وتربى فى قصور الخلافة- أن يكون عارفًا باللغة اللاتينية خصوصًا وأنه -كما سبق أن ذكرنا- كان يتعجب من أن قومًا من قبيلة بلىّ العربية لا يحسنون الكلام باللاطينية.

مثل أخير نضربه بالمؤرخ والوزير الغرناطى لسان الدين بن الخطيب (ت ٧٧٦هـ / ١٣٧٤م)، ففى رواياته التاريخية نلمس ذلك التداخل بين الثقافتين العربية والإسبانية، مثال ذلك كثرة استخدامه للألفاظ والمصطلحات الإسبانية التى كانت سائدة بين مواطنيه مثل كلمة قاله Cala بمعنى ميناء أو خليج (لها ميناء وقاله البرتغال Porto Cala)، ومثل قامرة Camara بمعنى مخزن أو غرفة، ولاطونى Laton بمعنى النحاس الأصفر (الأنوار اللاطونية)، البرطل Portal بمعنى المدخل، وهكذا.

ولقد استغل هذه الألفاظ كل من المستشرق الهولندى رينهارت دوزى Dozy فى معجمه "تكملة على المعاجم العربية"[2]، والمستشرق الإسبانى فرانسكو سيمونيت F. Simonet فى معجمه الخاص بالألفاظ اللاتينية والأيبيرية المتداولة بين المستعربين[3]. كذلك أفرد ابن الخطيب فى القسم الثانى من كتابه أعمال الأعلام (نشر بروفنسال) فصلاً عن تاريخ الممالك المسيحية الإسبانية

---

[1] كتاب الفصل لابن حزم نشر فى القاهرة سنة ١٣٢٤هـ، ونشر على هامشه كتاب "الملل والنحل" للشهرستانى الذى عاش بعده بقرن من الزمان، وقد ترجم الراهب الإسبانى اسين بالاثيوس كتاب الفصل إلى الإسبانية فى خمسة أجزاء، مدريد ١٩٢٧ - ١٩٢٨.

[2] R. Dozy : Supplement aux Dictionnaires Arabes, 2 Tomes, Paris, 1927.

[3] F Simonet : Glosario de voces ibericas y latinas usadas entre los mazarabes, Madris, 1888.

وهى قشتالة وأراجون والبرتغال، ونص صراحة على أنه استعان فى كتابة هذا الجزء بسفير مملكة قشتالة يوسف بن وقار الطليطلى أثناء زيارته لمملكة غرناطة فى مهمة رسمية وأنه استخرج هذا التقييد من الكتاب الذى أمر بعمله الملك الأعظم دون ألفنش أى ملك قشتالة ألفونسو العاشر الملقب بالحكيم أو العالم El Sabio[1].

وليس بعيدًا أن يكون لابن الخطيب دراية باللغة الإسبانية، ففى حوليات ملوك قشتالة التى كتبها المؤرخ الإسبانى لوبث دى أيالا Lopez de Ayala وهو معاصر لابن الخطيب، نجد مجموعة من الرسائل باللغة الإسبانية موجهة من ابن الخطيب Ben Hatin إلى ملك قشتالة بدرو القاسى Pedro El Cruel وهو على شكل مواعظ ونصائح أخلاقية وتوجيهات سياسية يحذره فيها من مكائد الذين حوله من أنصار أخيه المنافس له على العرش Enrique de Trastamara ويشيد بالصداقة التى تربط ملك قشتالة بسلطانه ملك غرناطة محمد الخامس الغنى بالله[2].

ومن الطريف أن ابن الخطيب يؤيد ما جاء فى الحوليات الإسبانية؛ إذ يذكر فى كتابه "الإحاطة فى أخبار غرناطة" أن سلطانه محمد الغنى بالله، لأن له بتوجيه الوعظ إلى صديقه بطره ملك قشتالة، وأنه نفذ الأمر وتلقى ردًا من الملك القشتالى يشكره فيه على نصائحه ويعده بالعمل بها[3]. وكل هذا يرينا مدى الأخذ والعطاء الذى تميزت به الرواية الإسبانية بشقيها الإسلامى والمسيحى.

---

[1] راجع ابن الخطيب: أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، القسم الثانى، ص٣٢٢، نشر ليفى بروفنسال، بيروت، ١٩٥٧.

[2] انظر

Lopez de Ayala: Crónicas de Los Reyes de Castilla, Vol. I, p. 493, Madrid, 1779.

[3] ابن الخطيب: الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج٢، ص٥٥ - ٥٦، طبعة القاهرة.

المعراج الإسلامى وأثره فى الكوميديا الإلهية لدانتى[1] :

مسألة أخيرة فى موضوعنا عن البعد المتوسطى فى الأندلس، وهى تتعلق بدور إسبانيا بشقيها الإسلامى والمسيحى فى موضوع المعراج الإسلامى وأثره فى الكوميديا الإلهية لدانتى :

منذ خمسين سنة تقريبًا أو على وجه الدقة سنة ١٩٤٩م ثبت تاريخًا أن إحدى صور أو روايات المعراج النبوى قد ترجمت من اللغة العربية إلى القشتالية (الإسبانية) بأمر من الملك الإسبانى ألفونسو العاشر الملقب بالحكيم أو العالم El Sabio وذلك سنة ١٢٦٤م، وقام بهذه الترجمة طبيب يهودى فى بلاطه بمدينة إشبيلية يدعى إبراهيم الفقيه أو الحكيم، وفى نفس تلك السنة ١٢٦٤م، طلب الملك ألفونسو العالم من الإيطالى منتورا داسينا ترجمتها من الإسبانية إلى اللاتينية والفرنسية لإذاعتها وراء الحدود الإسبانية[2].

---

[1] الكوميديا الإلهية لدانتى ملحمة شعرية مجموع أبياتها ١٤٢٣٣ بيتًا وتنقسم إلى ثلاثة أناشيد متساوية الطول : الجحيم والمطهر والفردوس، وهى تصور رحلة خيالية قام بها الشاعر دانتى إلى العالم الآخر، وقد نقلها إلى العربية أستاذنا المرحوم حسن عثمان فى ثلاثة أجزاء مع دراسة تحليلية لكل جزء منها إلا أنه أسقط من الترجمة جزءًا من الجحيم وهو الخاص بوصف الرسول (ص) وابن عمه على بن طالب تحرجًا من إيراده لأنه يسىء إلى مكانتهما (نشر دار المعارف) وقد علقت على هذا الجزء الناقص د. رشا حمود الصباح بجامعة الكويت على اعتبار أن ناقل الكفر ليس بكافر، وشرحت التصورات الأوربية للإسلام فى العصور الوسطى التى ارتضت نفسها على الشاعر الإيطالى فى ملحمته.

راجع رشا حمود الصباح: التصورات الأوربية للإسلام على العصور الوسطى وتأثيرها فى الكوميديا الإلهية، مجلة عالم الفكر، المجلد الحادى عشر، العدد الثالث، ١٩٨٠م.

راجع كذلك مقالنا (المعراج وصداه فى التراث الإسبانى)، عالم الفكر، يناير- فبراير، ١٩٨٢م.

[2] النسخة العربية التى ترجمت مفقودة، وأغلب الظن أنها كانت حديث المعراج المنسوب لعبد الله بن عباس ابن عم الرسول الذى دعا لابن عباس بقوله «اللهم فقهه فى الدين وعلمه التأويل». ويشير بالنثيا إلى وجود نسخة فى لندن رقم ٧٨٦ (تاريخ الفكر الأندلسى، ص٥٥٤).

وعلى هذا الأساس كانت الفرصة سانحة أمام الشاعر الفلورنسي الإيطالي دانتي أليجييري Dante Aligheri الذي عاش في ذلك الوقت (١٢٦٥-١٣٢١م) لكي يصل إلى الترجمة اللاتينية والفرنسية للمعراج الإسلامي. وهناك احتمال أن يكون أستاذه Brunetto Latini برونتو لاتيني أو غيره ممن كانوا يترددون بين فلورنسا وبلاط ملك قشتالة قد حمل لدانتي مسودة من الترجمة. المهم هنا هو أن هذه الأصول العربية واللاتينية والفرنسية والإسبانية ظلت مختفية منذ ذلك الوقت إلى أن اكتشف منها حديثًا النص اللاتيني في مكتبة البودليانه بأكسفورد، والنص الفرنسي في المكتبة الوطنية بباريس، وقام كل من الإسباني Muñoz Sendino[1] سندينو والإيطالي Enrique Cerulli[2] تشرولي بنشر ودراسة الترجمة اللاتينية والترجمة الفرنسية تحت عنوان Escala de Mahoma أو المعراج المحمدي كلٌّ على حده وفي وقت واحد سنة ١٩٤٩م كما سبق أن ذكرنا.

لماذا كان هذا الاختفاء ؟ لا أدري ! المهم هنا أنه قبل ذلك التاريخ ١٩٤٩م كانت النظرية السائدة هي نظرية المستشرق الإسباني Miguel Asin Palacios في كتابه الذي وضعه بالإسبانية سنة ١٩١٩ بعنوان :

العالم الإسلامي لما بعد الحياة في الكوميديا الإلهية

La Escatalogía musulmana en la Divina Comedia (Madrid, 1945)

ويقوم على بيان أوجه الشبه بين ما كتبه دانتي وما كتبه الشاعر الأندلسي أبو عامر أحمد بن شهيد (ت ٤٢٩هـ / ١٠٣٤م) في "رسالة التوابع والزوابع"[3]، وما كتبه أبو العلاء المعري[4] (ت ٤٤٩هـ / ١٠٥٨م) في "رسالة

---

(1) Josée Muñoz Sendino : La Escala de Mahoma, traduccion del arabo al castellano, latin y francés ordenado por Alfonso el Sabio (Madrid 1949).

(2) Enrique Cerulli:El libro della Scala e la question della fonte árabe-espagnole della Divina Comedía, Citta del Vaticano, 1949.

(3) رسالة التوابع والزوابع لابن شهيد تحقيق بطرس البستاني (دار صادر، بيروت، ١٩٧٦م).

(4) نسبة إلى معرة النعمان من أعمال حلب في شمال سوريا مكان مسقط رأس أبي العلاء المعري (٣٦٣- ٤٤٩هـ).

الغفران[1]، وما كتبه محيى الدين بن عربى المرسى الإشبيلى (ت ٦٣٨هـ/ ١٢٤٠م) فى فتوحاته المكية، فكل منهم له رحلة إلى العالم الآخر كما هو معروف وظن أسين بلاثيوس أن دانتى تأثر بهم. وبطبيعة الحال،بعد اكتشاف الترجمات الأوربية لقصة المعراج، فقدت نظرية أسين أهميتها[2] من هذه الناحية، خصوصًا وأنه من الصعب أن يكون دانتى ملمًا بالعربية لكى يقرأ كتب ابن شهيد والمعرى وابن عربى[3] ذات الأسلوب المعقد الغامض فى كثير من الأحيان، ولكن من السهل جدًا أن يكون دانتى قد استفاد من الترجمة الأوربية للمعراج وكذلك من القرآن الكريم الذى ثبت تاريخيًا أن ترجم ملخص له إلى اللغة اللاتينية فى النصف الأول من القرن الثانى عشر الميلادى[4]. ولعل أوجه الشبه التى تجمع بين دانتى وبين المعرى وابن شهيد وابن عربى ترجع إلى أنهم جميعًا استقوا من معين واحد رئيسى وهو قصة المعراج النبوى.

على أن المهم هنا هو أن كل هذه المؤثرات الإسلامية والمسيحية التى تأثر بها دانتى لا تقلل من قيمة عمله الرائع ولا تنقص من أصالته لأن العبرة هنا ليست بالحكم على نوع المادة التى صنع منها عمله وإنما بالحكم على موضوعية العمل نفسه.

وهكذا نرى مما تقدم أن هناك قصة عربية أندلسية للمعراج، وترجمات لها بالإسبانية واللاتينية والفرنسية، بالإضافة إلى ملحمة دانتى الشعرية الإيطالية، وكلها أبعاد متوسطية ساهمت فى إخراج رائعة دانتى.

---

[1] رسالة الغفران تحقيق وشرح عائشة عبد الرحمن (نخائر العرب، دار المعارف، ١٩٦٣م).

[2] أورد جنثالث بالنثيا ملخصًا لنظرية أسين بلاثيوس فى كتابه تاريخ الفكر الأندلسى، ترجمة حسين مؤنس، ص٥٥١- ٥٧٣م.

[3] هناك ابن عربى آخر وهو القاضى أبو بكر بن العربى المعافرى الإشبيلى، صاحب كتاب "العواصم من القواصم" عاش قبل محيى الدين بن عربى وتوفى بفاس سنة ٥٤٣هـ / ١١٤٩م.

[4] حسن عثمان : كوميديا دانتى أليجيرى، ج١ (الجحيم)، ص٥٩، دار المعارف.